

## سورة النور

مدنية، وهي مع البسمة خمس وستون آية وتسعة ركعات

سورة "النور" مدنية بالاجماع، لا يختلف في ذلك المسلمون ولا المستشرقون النصارى. (القرطبي، وتفسير القرآن الكريم لـ "ويري")

### علاقتها بالسورة التي قبلها:

تكمن علاقتها القريبة بالسورة التي قبلها في أن الله تعالى قد أنبأ في سورة "المؤمنون" بوجود أناس بين المسلمين يرتقون في الروحانية وينالون نصره الله تعالى، وقد بين الله تعالى في هذه السورة الطرق التي إذا اتبعها الإنسان نال نصرته تعالى، فأخبر أن سبيله هو إصلاح أخلاق الناس وتنظيم العائلة والمجتمع. فاستهل الله هذه السورة بذكر التدابير التي تُساعد على إصلاح الحالة الأخلاقية للمجتمع، فنبه إلى إصلاح العلاقة بين الرجل والمرأة، وبتعبير آخر قد أخبر الله تعالى أن معارضي الإسلام لم يتردوا دينياً فحسب بل ساءت حالتهم الأخلاقية أيضاً، فلن يُفلحوا أبداً خاصة المسيحيون منهم. أما المسلمون فسيتقدمون ديناً وأخلاقاً ويصبحون من الفائزين.

والحق أن هذا الموضوع نواته موجودة في سورة "المؤمنون" حيث بين الله تعالى أنه من صفات المؤمنين المفلحين أنهم ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، فحريٌّ بنا أن نقول إن هذه السورة قد تناولت موضوع فلاح المؤمنين بتفصيل أكثر.

كما تبين هاتان السورتان - ضمناً - أن الناس يظنون أن مجرد الإيمان بدين صادق يضمن لهم الفلاح واستمراره على الدوام. إنه ظن خاطئ، إذ لا بد من أجل الفلاح من إصلاح الذهن والأفكار والأخلاق علاوة على صحة العقيدة، كما لا بد لأجل ذلك من أن تتم العلاقات بين الأفراد والمجتمع على أساس الكفاءة

والرشد، وأن يكون هناك اهتمام خاص بتنظيم المجتمع، وأن تقدّم المصالح العامة على المصالح الفردية.

### زمن نزولها:

لقد سبق أن قلنا إن هذه السورة مدنية، وبقي الآن تحديد تاريخ نزولها. فليكن معلوماً أن حادث عائشة - رضي الله عنها - الذي وردت الإشارة إليه في هذه السورة قد وقع في السنة الخامسة الهجرية لدى العودة من غزوة بني المصطلق التي وقعت في شهر شعبان من تلك السنة (البداية والنهاية، الجزء الثالث: قصة الإفك)؛ لذا فيمكن القول إن هذه السورة قد نزلت في الشهور الأخيرة من السنة الخامسة الهجرية.

### ملخصها:

تضمنت هذه السورة أحكاماً خاصة، كما بيّن الله تعالى فيها الأمور التي تساعد على رقي المجتمع (الآيات ١-٢).

الفاحشة تخرب النظام العام، وإشاعتها تفسد الأخلاق، فلا بد من تجنّبهما. (الآيات ٣-٦).

ثم بيّن الله تعالى أن سوء الظن بين الزوجين يؤدي إلى فساد العلاقات العائلية، لذا فحكمها مختلف عن حكم الآخرين. فإذا حصل بينهما شك وسوء ظن، فيُفصل بينهما بناء على شهادتهما المقرونة بالقسم لا بناء على شهادات الآخرين. (الآيات ٧-١١)

ثم بين الله تعالى أن وقوع حالات نادرة فردية من ارتكاب الفاحشة يؤدي في بعض الأحيان إلى مصلحة للمجتمع، إذ يصحو القوم من غفوتهم، فعليهم ألا يتضابقوا من ذلك بل ينتفعوا مما فيه من دروس، وعليهم أن يتذكروا دائماً أن لا يقولوا بصدد الفاحشة إلا ما هو في نطاق الشهادة القانونية، لأن تبادل التهم بناء على سوء الظن أو على شهادات شهود ضعفاء يؤدي إلى انتشار الفاحشة بين المجتمع، ويظن الشباب أن الفاحشة متفشية في قومهم بكثرة فيستمرئون ممارستها. (الآيات ١٢-٢١)

ثم يقول الله تعالى أيها المؤمنون إن حماية الأخلاق أمر هام جدا. إن كل الأمور التي تؤدي إلى تردّي أخلاق المجتمع أمور شيطانية. والحفاظ على أخلاق المجتمع يتطلب تيقظاً كبيراً، لأن التيقظ يحول دون تردّي الأخلاق. بيد أن عليهم أن يتذكروا أن البعض لو ارتكبوا هذا الخطأ في بعض الأحيان فيجب أن لا يسعى الآخرون لأن يسحقوهم كليةً مخافة أن تنتشر الفاحشة بين القوم فتدمرهم. إنما عليهم أن يدركوا أن بعض الناس ضعفاء من الناحية الأخلاقية، فيجب إصلاحهم بعفو كبير. (الآيات ٢٢-٢٣)

أما الذين يحاولون بإصرار إحداث الفُرقة بين المجتمع والذين هم معتادون على رمي الأبرياء بالتهم، فتجب معاقبتهم في هذه الدنيا كما سينالون العقاب في الآخرة، وسيذلّهم الله تعالى بكشف فضائحتهم وسيذيقهم العقاب الذي يستحقونه. فيجب عدم تصديق القول السيئ ضد إنسان يبدو صالحاً في ظاهره، تماماً كما يستغرب المرء عند سماع ذكر حسن عن شخص سيء السيرة ولا يكاد يصدّق ما يسمع عنه. (الآيات ٢٤-٢٧)

ثم بيّن الله تعالى أن الاتهامات الأخلاقية التي تُوجّه للأفراد إنما تُثار نتيجة إهمال بعض الاحتياطات، وأكبر إهمال هو الاختلاط الحر بين الجنسين. فلنكي يتجنب المؤمنون هذه المتاعب عليهم أن لا يدخل بعضهم في بيوت بعض بجرية، بل عليهم أن يستأذنوا أهل البيت ويسلموا عليهم، فإن لم يتلقوا رداً على سلامهم فلا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وإذا قال لهم من في البيت أن يرجعوا لأنهم لا يستطيعون مقابلتهم الآن فعليهم أن ينصرفوا وألا يصروا على اللقاء. أما البيوت التي فيها متاع لهم، ولا يسكنها أحد فيمكنهم أن يدخلوها بدون إذن. وإذا تقابل الرجل والمرأة فينبغي أن لا ينظر بعضهما إلى بعض بعيون فاحصة. على الرجال أن يحفظوا جميع المنافذ التي تدخل منها السيئة إلى القلوب. وهذا الحكم للنساء أيضاً كما هو للرجال، فعليهن سدّ جميع الطرق والمنافذ التي تدخل منها السيئة إلى الإنسان ولا يبدن لغير المحارم أماكن الزينة من أجسامهن إلا ما ظهر منها تلقائياً مثل القامة وبنية الجسد. وعليهن أن يدنين عليهن من جلابيهن ويضربن بخمرهن من فوق رؤوسهن إلى صدورهن..

أي يحتجب بحيث يغطي الصدر والجيب والوجه، ولا يبدن زينتهن إلا لأقربهن الأقربين ولذوي الصلات بمن ممن جاء ذكرهم في الآية. (الآيات ٢٨-٣٢)

كما ينبغي لإصلاح المجتمع ألا تبقى الأراامل فيه بدون زواج، بل يجب تزويجهن كما يجب تزويج العبيد والإماء. ويجب عدم الخوف من الضيق المادي عند الزواج. أما الذين لا يستطيعون الزواج فعليهم أن يحافظوا على أخلاقهم بشكل خاص. والطريق الآخر لإرساء الخير في المجتمع هو تحرير أسرى الحرب. وإذا كان بعض الأسرى غير قادر على دفع فدية فاعقدوا معه اتفاقاً بأن يدفع فديته بالأقساط فيتحرر، بل ينبغي على الدولة والمسلمين أن يدفعوا عنه الفدية. كذلك لا تفرضوا على أسيرات الحرب اللواتي عندهن ظروف تدفعهن إلى الوقوع في الفاحشة، وإلا ستقع عليكم مسؤولية ذنبن. واعلموا أن هذه الأحكام تنطوي على تعليم سامٍ ستنالون بالعمل به مراتب روحانية أرفع من مراتب الأولين. (الآيات ٣٣-٣٥)

ثم أخبر الله تعالى أن كل ما في السماوات والأرض من نور وضوء إنما هو من عند الله تعالى. ثم بين حقيقة ذلك النور وأخبر أن هذا النور الرباني سوف يتجلى في المسلمين سيؤدي إلى شرفهم. (الآيات ٣٦-٣٩)

ثم بين الله تعالى أن الذين لا يؤمنون بالإسلام، تصاغ أخلاقهم من خلال شرائع محرفة (كشريعة المسيحيين)، أو من خلال العقول البشرية فقط، لذا فلن تثمر جهودهم بل ستضيع سدى، وسيجدون عملية إصلاح المجتمع صعبة جداً لأن الإصلاح مستحيل بدون هداية ربانية (أي بدون الشريعة). (الآيات ٤٠-٤١)

ثم قال الله تعالى أفلا يرى الناس أن القانون الطبيعي الذي سنه الله تعالى في الكون يأتي لهم بالبركات، وأنه رحمة عظيمة لهم، فكيف يظنون أن قانون الشريعة الذي سنه الله تعالى هو لعنة. إذا كان بوسع الإنسان أن يختار لنفسه طريقاً صحيحاً فكيف يستحيل على الله تعالى اختيار الطريق الصحيح له ولغيره من البشر. (الآيات ٤٢-٤٧)

غير أنه يجب على الإنسان أن يتذكر أن الإيمان باللسان وحده لا ينفع صاحبه شيئاً، بل عليه أن يسعى للعمل بأحكام الله تعالى. ولا ينبغي له أن يعمل بما إذا ما

رأى منفعة فقط، وإذا لم يجد هناك منفعة ترك العمل بأحكام الله تعالى. (الآيات ٤٨-٥٥)

إننا نعد المسلمين أنهم لو عملوا بأحكامنا لجعلناهم ملوكا في الدين والدنيا (أي أنهم يتولون في وقت مناسب القيادة الدينية والدنيوية كليهما معاً أو كل واحد منهما على حدة)، وسننشر دينهم في العالم، ونرسي بواسطتهم دعائم التوحيد في الدنيا. لذا فمن واجبه أن يقيموا عبادة الله تعالى ويساعدوا الفقراء بأموالهم ويطيعوا محمداً رسول الله ﷺ فيما يأمرهم به. ولا يظنوا أبداً أن أعداءهم سينتصرون عليهم بسبب قوتهم وكثرتهم. كلا! إنهم لن يكونوا غالبين عليهم أبداً. (الآيات ٥٦-٥٨).

أيها المؤمنون نوصيكم ثانية بإصلاح حياتكم الاجتماعية وعدم الاختلاط الحر بين الجنسين. فلا يدخلن في غرفة الزوجين خدُمهما من الأسرى وأولادهما، قبل صلاة الفجر وبعد الظهر وفي وقت متأخر من الليل، أما دون هذه المواعيد فيمكن أن يدخل في غرفتهما كل الذين يُعتبرون أهل البيت. فهذا خير لكم من الناحية الأخلاقية. وإذا بلغ الأطفال سن البلوغ فستنطبق عليهم أحكام الكبار. إن الحجاب الإسلامي هو للنساء اللاتي هن في سن الشباب والزواج، أما العجائز فهن الرخصة من الحجاب ولكن ينبغي أن لا يخرجن متبرجات بزينة. (الآيات ٥٩-٦١)

لا حرج في أن يأكل المعاقون من أقاربكم الأقربين في بيوتكم بدون إذن، أما غير الأقارب فيجب أن لا يذهبوا إلى الأكل في بيوت الآخرين دون دعوتهم. (الآية ٦٢)

واعلموا أن النظام الاجتماعي هام جدا بعد النظام العائلي، بل هو أهم من النظام العائلي والفردى، لذا فينبغي أن لا تخرجوا من أي مجلس عام دون إذن المسؤول (كما سنّت بعض البرلمانات في هذه الأيام قانونا كهذا). ينبغي أن يُسمح بالخروج عند الضرورة للذين يستأذنون ولا يخالفون القانون. (الآية ٦٣)

أبها المؤمنون إن النظام الديني أهم من النظام الدنيوي والمادي فلا تعتبروا نداء الرسول كنداء بعضكم بعضا. إن الذين يتسللون من مجلس الرسول ﷺ إنما يعصون الله تعالى فليحذروا عذابه. (الآية ٦٤)

كل ما في السماوات والأرض هو لله تعالى. إنه يعلم جيدا نوعية أخلاقكم، فاتبعوا الطريق الذي يرشدكم إليه لكي تتلقوا المساعدة من قبل المخلوق ومن قبل الله تعالى. (الآية ٦٥)